

السوري... فنان يجيب

بين الفقراء وأهل السلطة والمال

تتعدّد حكايات النزوح السوري إلى لبنان. للفقراء مطارحهم وحكاياتهم المحزنة، وللأغنياء فنادقهم وشققهم وحكاياتهم غير الأنيقة. وجهان لصراع تراكم صمته إلى أن بكته دمشق دماً في قصة نزوح أهلها نحو بلاد مازومة نأت بنفسها عن مساعدتهم

عفيف دياب

دموع ليلى ق. الدمشقية وهي تروي قصة هروبها من حي المزرعة الراقي في العاصمة السورية، لا تسمح لمحاورها بأن يطرح عليها سؤالاً واحداً عن أحوال الشام. تجلس السيدة فوق حقيبته عند معبر المصنع الحدودي قرب والدها العاجز عن المشي يتوسل الأخير، المستند إلى عكازه، ابنته أن تكف عن البكاء. تتدخل شقيقته منى، وتأخذ المبادرة لتوجز باختصار سبب نزوح العائلة من حي المزرعة العريق في دمشق إلى بيروت. «لا يحدث شيء عندنا في الحي، لكننا قررنا المجيء إلى بيروت تحسباً» تقول، وتعود لتنتظر مع شقيقتها ووالدهن وخادمة فيلبينية سيارة الأجرة اللبنانية التي ستقلهم من المصنع إلى بيروت. تقص منى حكاية دمشقية لا تشبه حكايات فقراء دمشق في أحياء كفرسوسة والميدان والقدم والقابون والسيدة زينب وغيرها من مناطق التوتر. تقول إنه لا شيء يحدث في دمشق: «بس جاين كرمال نرتاح شوي ببيروت حتى عيد الفطر». وتضيف: «عادي ما في شي... مثل ما عم تسمعوا». وتختتم: «في مشاكل بالأحياء الثانية، حوادث صغيرة ويتخلص. عنا ما في شي مرتاحين».

ما لم تقله منى ابنة حي المزرعة في دمشق، ترويه عشرات النسوة في مراكز تجميعات النازحين السوريين في سهل البقاع. فمنى وليلى وخادمتهم لا تسمح لهن المكانة الاجتماعية بالإقامة في مدرسة، كما فعلت أم سعد مع زوجها وأولادهما الثلاثة بعد رحلة هروب من الأحداث التي وقعت أخيراً في السيدة زينب إلى البقاع الغربي. أم سعد لم تنتظر سيارة أجرة لتقلها إلى منزل في بيروت. لم يكن عندها حرج أن تصعد في شاحنة «بيك. أب.» إلى ماوى للنازحين. لم تخف إلا على حياة أولادها ومصيرهم. رسمت مع زوجها خط سير النزوح القسري إلى البقاع الأقرب إليهما من أي مكان آخر. يقول أبو سعد، المقيم في غرفة داخل ثانوية المرحج الرسمية، إنه سمع نداءات من مكبرات صوت المساجد تطلب من الأهالي مغادرة الحي. ويضيف: «مشينا في البراري حتى وصلنا إلى منطقة في السويداء... نمنا في العراء، ولكن طائفة جاءت وقصفت بالصواريخ موقعا فهربنا إلى أن وصلنا إلى هنا». يروي أبو سعد حكايات الحزن والموت في أحياء دمشق الفقيرة. وحكايات هروب الناس إلى لبنان والسويداء «لم يبق أحد في السيدة زينب. معظم السكان نزحوا بسبب القصف والاشتباكات بين الجيش (النظامي) والجيش الحر»، أمضى خلالها الرجل 3 أيام سوداء في حياته: «ما خلصنا من القصف والموت حتى علقنا على معبر جديدة يابوس». ويضيف «وصلنا إلى المصنع اللبناني

وفتنا دغري على لبنان». خاتماً حديثه بالقول: «الله ينصر الجيش الحر عمي». حكاية أبو سعد وعائلته لا تختلف عن حكاية أحمد م. النازح من حي التضامن الدمشقي إلى البقاع: «خرجت مع زوجتي العراقية وابني من الحي حتى وصلنا إلى طريق المطار الدولي، ومن هناك استقلت سيارة إلى جديدة يابوس حتى وصلت إلى المرحج في البقاع». يضيف: «عند المصنع رفضوا إدخال زوجتي من دون فيزا، فجاء لبنانيون وتبرعوا لي بالمال وساعدوني حتى وصلنا إلى المدرسة». أما زوجته، فتروي كيف توفي طفلها في حي القدم جراء ضغط انفجار صاروخ. العراقية الهاربة من الموت في بلادها، حصد ابنها في ريف دمشق: «سقط صاروخ على الحارة فمات ابني من الضغط وعمره 4 أشهر». تتابع باكياً: «ما صدقت انو هربت من العراق لارتاح حتى وجدت الموت أمامي في الشام». جار لها في غرفة ثانوية المرحج، خليل ع. يحكي بدوره قصة هروبه من بابيلا (ريف دمشق) ليلة الجمعة الماضية مع زوجته وأولاده الأربعة تحت القصف المدفعي المتبادل بين الجيشين النظامي والحر: «ما قدرنا نحمل القصف فهربنا. بابيلا مدينة أشباح».

عشرات الحكايات عن القتل والموت يرويها النازحون من دمشق إلى البقاع. أكثر من 30 ألف سوري غادروا عاصمتهم وريفها خلال الأيام الماضية إلى البقاع ومختلف المناطق اللبنانية. أصحاب المال الذين اختفوا سريعاً في الفنادق والشقق المفروشة لهم حكاياتهم المختلفة. لا تكثر جميلة أبو ح. التي تعرّف عن نفسها بأنها سيدة أعمال، بما يحكى عن شامها «شوية زعران لازم ينقلوا بفلوا». تضيف من فندق 5 نجوم الذي أقامت فيه في البقاع الأوسط: «كنا مرتاحين وفجأة تغيرت الأحوال. اصطحبت الأولاد واتي بنا إلى شتورة لرتاح قليلاً. زوجي لا يزال في الشام. أمامه الكثير من العمل وهو ليس قادراً على تضييع الوقت وخسارة المال كرمي كم أزرع». سيدة الأعمال الدمشقية لا يعينها إن سقط نظام الرئيس بشار الأسد أو بقي «مو فرقانة معي. آخر همي المهم عايشين وما بتعني الحرية كثير». تتابع: «زوجي تعب كثيراً حتى

نعيش مرتاحين. ولا أخفي أنه استفاد من قربه من النظام، لكن لم يعد يعنيني أمر النظام إن سقط، أو قصف الزعران بالصواريخ ودمر منازل». بخلافها، لا تخفي زميلتها في الفندق الحاجة أم محمد التقي خوفها على دمشق وسوريا. تتحدث عن أهمية الإصلاح السياسي والاقتصادي و«شوية حرية للشباب». وتضيف بلهجتها الشامية الجميلة «يعني يا ابني ما فينا نعطي حرية كبيرة لأولادنا.. هادول ما بيعرفوا كيف يشتغلوا. خربوا البلد كرمي لشي ما كثير مهم هلق». وترد وهي تضحك: «الشام كثير حلوة. حرام اللي عم ببصير فيها». السيدة التي تفضل قضاء شهر رمضان بعيداً عن «القصف والرصاص» تؤكد أنها لا تحتاج إلى مساعدة من احد: «رزقنا كبير يا ابني، ونحننا مع النظام بس مع شوية إصلاحات وكل واحد هيك بياخذ حقوق».

حكايات فقراء دمشق وأصحاب المال والسلطة، تعرفها الحكومة اللبنانية العيوب السوري التي لبنان عبر بوابة المصنع، الذي تراجع على نحو كبير في الأيام القليلة الماضية، أحصته أجهزة رسمية لبنانية ومؤسسات دولية. ويكشف مصدر في الأمن اللبناني لـ«الأخبار» أن حركة العبور السوري تراجعت نحو لبنان مقارنة بما جرى في الأسبوع الماضي. ويضيف «سجلت حركة مغادرة خلال يومي الأحد والاثنين الماضيين، لكنها كانت خجولة». موضحاً أن نسبة مغادرة السوريين لبنان عبر المصنع «لا تتجاوز 10 في المئة ممن دخلوا مؤخراً». لافتاً إلى عبور 31 ألف سوري الأسبوع الماضي.

هذا النزوح من دمشق نحو سهل البقاع والداخل اللبناني، أربك المؤسسات الإنسانية الدولية مع تمنع المؤسسات الرسمية اللبنانية عن متابعة الملف وإجراء إحصاء دقيق وموثق للنازحين الفعليين. ويقول ناشط في مؤسسة دولية لـ«الأخبار» إن فريقه أجرى إحصاءً أولياً أظهر وجود حوالي عشرة آلاف نازح سوري من دمشق وريفها «بحاجة ماسة إلى مساعدات وطبابة»، موضحاً أن وزارة الشؤون الاجتماعية «أرسلت فريقاً طبياً عاين بعض الأطفال والمرضى السوريين في البقاعين الأوسط والغربي»، معرباً عن اعتقاده بأن «التوتر الأمني في سوريا سيدخل لبنان والمؤسسات الاجتماعية الدولية في أزمة علاقة بسبب سوء التنسيق والمتابعة المشتركة».

سوء التنسيق اللبناني الرسمي في متابعة شؤون النازحين اللبنانيين، فتح الباب واسعاً أمام مؤسسات دينية واجتماعية لبنانية وهيئات بلدية للعمل وفق الإمكانيات المتوافرة. يقول رئيس بلدية المرحج في البقاع الغربي عماد الشموري إن بلده استقبلت خلال الأيام الماضية 113 عائلة سورية نازحة من دمشق وريفها، موضحاً أن أكثر من 30 عائلة تقم في ثانوية البلدة الرسمية، فيما توزعت بقية العائلات على منازل قدمها الأهالي، لافتاً إلى أن أهالي بلده المرحج يقدمون وجبات غذائية يومياً للعائلات النازحة. وبلغت الشموري إلى أن الحكومة اللبنانية لم ترسل أحداً لإجراء إحصاء «وحده الوزير وائل ابو فاعور أرسل أطباء وكميات من الأدوية من وزارة الشؤون لمعاينة النازحين المرضى».

للفقراء مقار جهزت على عجل وفنادق مسبقاً لأغنياء الشام. وفي هذا الإطار يقول مصدر أمني في البقاع لـ«الأخبار» إن النظام السوري أبلغ جميع المقربين منه بوجوب إجلاء عائلاتهم مؤقتاً إلى لبنان حتى تنتهي العملية الأمنية. ويضيف إن عشرات السوريين المقيمين في دمشق حجزوا غرفهم في الفنادق اللبنانية مسبقاً، فيما تولت مؤسسات أهلية ومدنية وخيرية مهمة تأمين ماوى للنازحين من أحياء دمشق الفقيرة. ويكشف أن جهازه الأمني رصد وجود شخصيات سورية مرموقة وبارزة في النظام: «وصلت إلى البقاع وبيروت وكسروان والمتن خلال الأسبوع الماضي».

عراقية هاربة من الموت في بلادها قتلها في ريف دمشق 10 آلاف نازح من دمشق وريفها بحاجة ماسة إلى مساعدات وطبابة

اللاجئون السودانيون: نقطة «الاعودة»

زينب مرعي

بعد مرور أكثر من شهر على إضرابهم عن الطعام، ما زال اللاجئون السودانيون يصعدون من دون أن يصل اعتصامهم وإضرابهم عن الطعام إلى خواتيم سعيدة. «التصعيد البسيط» كما سمّوه أمس، كان في نقل الرجال مخيمهم من على الرصيف المقابل لمكتب المفوضية العليا للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين إلى أمام بابها. فشكّلوا حاجزاً بشرياً منع الموظفين من دخول مكاتبتهم من الباب الرئيسي وأجبروهم على الدخول من باب آخر. يقول اللاجئون إنهم يعلمون إن الموظفين سيدخلون من الباب الثاني، إلا أنهم بإقتال المدخل الرئيسي للمفوضية يعيدون إحياء قضيتهم. وإن استمر الوضع على حاله بينهم وبين المفوضية، فإنهم سيمدون بمساعدة نسايتهم وأطفالهم إلى إغلاق الباب الثاني للمفوضية أيضاً. أمّا الأخيرة فلم تعد تجد كلمات جديدة للتعبير عن الأزمة أو لإيجاد حل. فمهما كان مستوى التصعيد الذي يلجأ إليه اللاجئون، تواظب المفوضية حتى الآن على تكرار عبارة أن الحل ليس بيدها بل في أيدي سفارات بلاد إعادة التوطين. وتضيف المسؤولة الإعلامية دانا سليمان إنه أمام الوضع المستجد ليس أمام المفوضية سوى عقد اجتماع جديد لإعادة إطلاق الحوار مع اللاجئين. وتذكر بأن نسب توظيف اللاجئين في العالم هي أقل من 1%، بينما هي بين 18 و20% سنوياً في لبنان. أمام هذا الوضع، يقتصر إيفاد اللاجئين الصائمين على المياه والعصائر والتمر. حتى إنهم يقولون إنهم وصلوا إلى «مرحلة الاعودة» ولم يعد هناك شيء يخافون عليه. إذ إن مذكراتهم شارفت على الانتهاء، بما أنهم بسبب الاعتصام تركوا عملهم وبيوتهم، والماء والتمر الذي يفطرون عليه اليوم قد لا يجدونه غداً.

